**ـ 3 ـ**

ديفيد فرومكين. **نهاية الدولة العثمانية وتشكيل الشرق الأوسط**. ترجمة وتحقيق وسيم حسن عبدو؛ تقديم منذر الحايك. دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 2022. 424 ص.

يعرض هذا الكتاب للدور الاستعماري الذي قامت به بريطانيا والقوى الاستعمارية الأخرى مثل فرنسا وإيطاليا لتأسيس معظم دول الشرق الأوسط، وذلك عقب الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى تفكيك الإمبراطورية العثمانية نتيجة وقوفها إلى جانب الخاسر في الحرب، وتوافق الحلفاء الذين انتصروا في الحرب على تقاسم الأراضي التي كانت تكوّن الإمبراطورية، في ما بينهم خلال فترة الحرب. وترجم ذلك في اتفاقية سايكس بيكو 1916 بين بريطانيا وفرنسا على تقاسم أراضي الهلال الخصيب، ناهيك بوعد بلفور 1917 لإقامة وطن لليهود في فلسطين.

وقد تواصلت هيمنة بريطانيا وفرنسا كقوتين استعماريتين على المنطقة بقرارات من عصبة الأمم التي صدرت عام 1920 والتي أجازت نظام الانتداب على الولايات العثمانية المتفككة. ومع نهاية الحرب العالمية الثانية كانت قوى الاستعمار قد عملت على تجزئة المنطقة بالكامل في سياق تكوين شرق أوسط جديد برزت ملامحه في فلسطين تحت الانتداب البريطاني الذي عمل على زرع الكيان الصهيوني في المنطقة. ولم تتوقف المشاريع الهادفة إلى تكوين شرق أوسط جديد مع تراجع الهيمنة البريطانية والفرنسية على المنطقة في حقبة الستينيات، بل استمرت على المنهج نفسه بعدما حلت الهيمنة الأمريكية مكانها لتنفرد بمشاريع جديدة من الاستعمار، كان آخرها الغزو الأمريكي للعراق 2003، وصولًا إلى الحروب والاضطرابات الدائرة في أكثر من بلد عربي منذ انتفاضات «الربيع العربي»، وبخاصة في سورية، حيث تسعى الولايات المتحدة إلى تفتيتها إن لم تتمكن من الهيمنة عليها.

وإذ يسعى مؤلف الكتاب إلى تقديم رؤية شاملة عن دور قوى الاستعمار ولا سيما بريطانيا في تكوين الكيانات الجغرافية في المنطقة عقب تفكيك الإمبراطورية العثمانية في إطار مشاريع إعادة تكوين الشرق الأوسط الجديد، يؤكد أن إنشاء مثل هذه الكيانات لم يكن ممكنًا لولا تواطؤ الكثير من الشخصيات والحكام العرب الذين تم اختيارهم بعناية من قبل الاستعمار لتنفيذ أجندات استعمارية ـ بما في ذلك الموافقة على زرع الكيان الصهيوني في المنطقة ـ مقابل تعزيز سلطاتهم ونفوذهم والتحكم بمصير شعوبهم. وقد استمر هذا الواقع مع هيمنة الولايات المتحدة على المنطقة.

والمؤسف أن قوى الاستعمار نظرت على الدوام إلى العرب كغنيمة حرب يُراد تقاسمها، وحسبتهم ضعفاء، وشتات قبائل وطوائف، غير قادرين على أن ينصهروا أو يتحدوا، واستخدموا هذه الأفكار ـ وبعضها نمطي ـ للتدخل في شؤون البلدان العربية والهيمنة على مقدراتها. لكن المؤلم أنهم غالبًا ما وجدوا في المنطقة مَن يتآمر معهم على أبناء جلدتهم.